

الوافي في الوفيات

وكان صحيح العقيدة عنده علمٌ وأدبٌ يحبُّ العلماء ويحترمهم . وله في الجهاد مع أبيه مشاهد معروفة وآثار جميلة ووقف أوقافاً جليلاً على قبّة الصخرة وغيرها . ولشعراء عصره فيه أمداح طائفة وقصائد هائلة مثل ابن الساعاتي وابن سناء الملك وغيرهما .

فمن قول ابن سناء الملك فيه من جملة قصيدة : .

مَلِكٌ اسْمُهُ عَلِيٌّ وَلَكِنْ ... كِيدُهُ فِي حُرُوبِهِ كِيدُ عَمْرٍو .

لَيْسَ يَنْفَكُ بَيْنَ فَتْكِ وَفَتْحٍ ... حِينَ يَخْتَالُ بَيْنَ نَصْلِ وَنَصْرِ .

وَجْهَ الْبَدْرِ فِي الْحُرُوبِ وَلَا تَع ... جَبُّ إِذَا كَانَ يَوْمُهُ يَوْمَ بَدْرِ .

ومنه من قصيدة أخرى : .

حَسْبِي عَلِيٌّ نَدَى حَسْبِي عَلِيٌّ هَدَى ... حَسْبِي عَلِيٌّ جَدَا حَسْبِي عَلِيٌّ عُلَا .

حَسْبِي أَبُو حَسَنِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... يَسْتَفْرِغُ الْحَوْلَ أَوْ يَسْتَفْرِغُ الْحَيْلَا .

حَمْدٌ آخِرَ أَيَّامِي بِخِدْمَتِهِ ... وَلَسْتُ أَحْمَدُ مِنْ أَيَّامِي الْأَوْلَا .

ذَكَرِي بِهِ سَارَ حَالِي عِنْدَهُ عَظُمَاتٌ ... قَدْرِي بِهِ جَلٌّ مَقْدَارِي لَدَيْهِ عِلَا .

ومن قول ابن الساعاتي فيه يمدحه : .

وَزُرْتُ مِصْرًا بَغَابٍ مِنْ قَنْدًا وَطُجَيْي ... قَلَّاتٌ لَهُ شَامَخَاتُ الْمُدُنِ وَالْقُلَلُ .

سَكَنْتَهَا حِينَ سَكَّنتَ الْبِلَادَ بِهَا ... جَمْعًا وَثُقُفًا ذَاكَ الزَّيْغُ وَالخَطَلُ .

فَلِلْقُلُوبِ اللُّوَاتِي طَالَمَا وَجَّبتُ ... بِهَا سَكُونٌ وَلِلدُنْيَا بِهَا زَجَلُ .

نَهَارُهَا بِكَ أَسْحَارٌ مَقْدَسَةٌ ... جَمِيعُهَا وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أُصُلُ .

حَلَّاتٌ عَنْهَا وَحَلَّاتِ الزَّمَانِ بِهَا ... فَالْيَوْمَ لَا عَاطَبٌ يُخْشَى وَلَا عَاطَلُ .

حَيْثُ السَّحَابُ بِنُودٍ وَالْقَسِيُّ لَهَا ... رَعْدٌ وَلِلنَّيْلِ فِيهَا عَارِضٌ هَطَلُ .

فَعَلَّاتٌ مَا سَرَّ حَتَّى لَا مِثَالَ لَهُ ... وَقَلَّتْ مَا سَارَ حَتَّى إِنَّهُ مَثَلُ .

مَا غَلَّقَ الْبَحْرُ فِيمَا ظَنَّ رَاكِبَهُ ... وَإِنَّ مَا هَزَّ مِنْ أَعْطَافِهِ الْجَذَلُ .

يَرْتَاحُ عِنْدَ أَخِيهِ حِينَ جَاوَرَهُ ... فَالشَّمْلُ مَجْتَمِعٌ وَالْحَبْلُ مُتَّصِلُ .

قال الشيخ شمس الدين : كان فيه تشيُّعٌ ولم يكن في الملوك مثله فلا عاقب على ذنب

كثير العفو والحلم . وقال كمال الدين بن العديم : لم يكن متشيِّعاً وإِنَّ مَا قَالَ هَذَا

الشعر لموافقة الحال وتقرُّباً إلى الإمام الناصر إذ كان منسوباً إلى التشيُّع . انتهى

. قلتُ : ولما تعصَّب أخوه العزيز عليه وعمُّه العادل قال : .

ذي سُنْدَة ُ بين الأنام قديمة ُ ... أبداً أبو بكرٍ يجور على علي .
وكتب إلى الإمام الناصر : .
مولايَ إنَّ أبا بكرٍ وصاحبه ُ ... عثمانَ قد غمَّبا بالسيف حقَّ علي .
وهو الذي كان قد ولاه والده ... عليهما واستقام الأمر حين ولّني .
فخالفاه وحلاً عقد بيعته ... والأمرُ بينهما والنصُّ فيه جلي .
فانظروا إلى حظِّ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأُول .
فجاء جواب الناصر من إنشاء ابن زبادة وفيه : .
وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً ... بالحقِّ يخبرُ أنَّ أصلك طاهرُ .
غمَّصوا عليَّ حقَّه ُ إذ لم يكن ... بعدَ النبيِّ له بيثربَ ناصرُ .
فاصبرُ فإنَّ غداً عليٌّ جزاءهم ... وابدشروا فناصرُك الإمام الناصرُ .
وفي ذلك يقول شرف الدين بن عُنَيْن من قصيدةٍ كتبها إلى أخيه من الهند : .
هيهاتَ آتي دمشقَ ومُلْكها ... يُعزى إلى غيرِ المليكِ الأفضل .
ومن العجائبِ أن يقومَ بها أبو ... بكرٍ وقد علمَ الوصيةَ في علي .
مهلاً أبا حسنٍ فتلك سحابة ُ ... صيفيَّة ُ عمَّما قليلٍ تنجلي .
ومن شعر الأفضل : .
قلُّ لمن في العذارِ أطنبَ جهلاً ... ويُباهي بوصفه ويُغالي .
لم يكن في الجنان يُفقدُ في الولِّ ... دان لو كان من صفات الجمال .
ومنه : .
وقبَّلتُ خدَّيَّ للحبيبِ مُورَّداً ... بروحي أُفدَّي منه خدَّيَّ مُورَّداً .
فمن حَرَّ أنفاسي علا فوق خدِّه ... دخانُ فخالوه عذاراً مُزَرَّداً .
ومنه :